أثر الاستشراق في القراءة الحداثية للنص القرآني

The Trace of Orientalism on The Modernist Reading of The Quranic Text

محمد أمين شعبي *
جامعة الجزائر 1 /الجزائر
mohamedtdi25@gmail.com

مصعب قاصب
جامعة الجزائر1/الجزائر
mossaabgaceb1990@outlook.fr

تاريخ التسليم 2020-04-24	تاريخ التقييم 2020-05-28	تاريخ القبول 2020-06-30

الملخص

تعدّدت المناهج المستعملة في دراسة الأديان عموما والنّصوص المقدّسة خصوصًا من جهة، واتّفق بعض المفكرين ممّن ينتسبون إلى لغة الضاد مع المستشرقين في اختيار منهج معيّن لدراسة النص القرآني من جهة أخرى، ما أنتج تيارًا حداثيًا يدعو إلى تجديد الدّين وربطه بالواقع، يتوافق مع المستشرقين في كثير من آرائهم ونظرياتهم، وهذا ما يدفع إلى التّساؤل عن مدى التّوافق الفكري بين التّيارين، وهل يرجع هذا التوافق إلى تأثّر أحدهما بالآخر؟ وإذا كان كذلك؛ إلى أيّ مدى أثّر الاستشراق على القراءة الحداثية للنصّ القرآني؟. فجاءت هذه المقالة لتجيب عن هذه الإشكالية بشكل مختصر مُركّزةً على أشهر الحداثيين وأهم مناهجهم في قراءة النصّ القرآني. لتصل في الأخير إلى نتائج أبرزها أنّ الحداثيّين تأثّروا بمناهج وأفكار المستشرقين في دراستهم للنّص الدّينيّ تأثّرا مباشرا أو غير مباشر وفق نظرتهم الحداثية.

كلمات مفتاحية:

الحداثة؛ الاستشراق؛ النص القرآني؛ النّص الدّيني؛ مناهج دراسة الأديان.

Abstract

This study aims to focus on the most famous modernists and their most important approaches to reading the Qur'anic text From this point, there were many approaches used in the study of religions in general and the sacred texts in particular on the one hand, and some Arab thinkers agreed with the Orientalists in choosing a specific method for studying the Qur'anic text on the other hand, which produced a modernist trend that calls for renewing religion and linking it to reality, compatible with the Orientalists in many of their views and theories, This is what leads to the question of the extent of intellectual compatibility between the two currents, and is this compatibility due to the influence of one another? If so, to what extent did Orientalism influence the modernist reading of the Qur'anic text? One of the leading results rendered by this study is that the modernists were directly or indirectly influenced by the approaches and ideas of the Orientalists in their study of the religious text according to their modernist view.

Keywords:

Orientalism; Religions Studies; Arab Modernists; Modernity; Religious Texts.

*المؤلف المراسل.

1.مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدّين، أمّا بعد؛

إن ظهور التّيار الحداثي بين العرب سابقةٌ نزلت على الإسلام والمسلمين كالصاعقة، هذا التيار الذي ينظر إلى دين الإسلام على أنه موروث ثقافي، وإلى نصوصه المقدّسة على أنّها وثائق تاريخية، مُسقطا علها المناهج الغربية في دراستها، ومُلغيا جانب المقدّس منها، وداعيا إلى تجديد مضامينها، وفق ما وصل إليه الغربيون في نقد كتابهم المقدّس وتجريدهم إيّاه عن الإلهية والربانية، لكن أفكار الحداثيين ونظرياتهم التّي يدعون إليها ويدافعون عنها تلتقي أيضا بطريقة أو بأخرى مع ما يُقرّره من انبروا لدراسة الإسلام من أجل نقده من المستشرقين في كتاباتهم، كل هذا يبعث لدى الباحث الفضول لمعرفة مدى التشابه بين التيارين، وهل هذا التشابه نسبي أو كلّي؟ فإن كان كليًّا فهو تقليد أعمى للغرب، والتّقليد فعل شنيع عند الحداثيين، وإن كان نسبيا فهو علامة على تأثير الاستشراق على الحداثة، وعليه؛ فكيف بمن ينتسب للإسلام أن يتأثّر بمن هدفه الوحيد تشويه سمعة الإسلام؟ ولعلّ الإجابة على هذا تتمثّل في كون أغلب الحداثيين درسوا في الغرب وتتلمذوا على يد أولائك المستشرقين وتشبّعوا من غرسهم، وهنا تظهر إشكالية أخرى تكمن في ماهية التأثير الحقيقي للمستشرقين على الحداثيين، هل تتلخّص في شبههم وافتراءاتهم على الإسلام؟ أو في منطلقاتهم ومرجعياتهم؟ أو في مناهجهم البحثية في الأديان؟ والاتفاق في المناهج من أكثر الأسباب الموصلة إلى نتائج متقاربة إن لم تكن متطابقة بين التيارين، لذا ركّزنا كثيرا في هذه المقالة على المناهج التي اتّبعها أشهر الحداثيين العرب وبيّنا مدى اتفاقهم فيها معهم وكيفية تأثرهم بهم، لنصل إلى كون الحداثيين تأثّروا كثيرا بالمستشرقين في مناهجهم حتّى عُدَّت آراؤهم وأقوالهم استشراق في ثوب حداثي، وبلغ بهم الحد في بعض الأحيان إلى التقليد الأعمى للغرب رغم نهيهم عن تقليد الآخرين عموما، فهم تبع لغيرهم ويدعون المسلمين إلى تقليد الغرب لكنهم في نفس الوقت ينهون عن تقليد من سبق من المسلمين، وهذا من التناقض الذي كانت تهدف هذه المقالة إلى إظهاره.

اتّبعنا للوصول إلى النتائج المرجوة المنهج الاستقرائي لرصد الأقوال والمناهج المستعملة عند من خصصناه بالدراسة من الحداثيين، والمنهج التحليلي لفهم مدلولات الكلام فكان المقال كالآتي:

2. تأثر الحداثيين بمناهج الاستشراق:

استطاع المفكرون الغربيون الوصول إلى نتائج قيمة عند قراءاتهم النقدية لأسفار العهد القديم وأسفار العهد الجديد والتي تشكل الكتاب المقدس، وقد استعملوا في دراستهم لهذه الأسفار مناهج جديدة ظهرت في زمن كان فيه الصراع كبيرا بين الكنيسة والعلم، ومن بين المناهج التي استعملوها المنهج الألسني والتاريخي والهرمينوطيقي ومناهج أخرى، وحاول المستشرقون تطبيق هذه المناهج السالفة الذكر لقراءة التراث الإسلامي بما في ذلك النص القرآني، والحداثيون العرب واكبوا ما أنتجه الغرب من آليات ونظريات ومناهج إنسانية واجتماعية، وأخذوها كما هي وأرادوا اسقاطها على قراءة النص القرآني دون مراعاة خصوصيات النصوص، فالنص التوراتي والإنجيلي الذي دُوّن خلال فترات زمنية طويلة والمخطوطات الموجودة لهذه الأسفار كلها عبارة عن ترجمات قام بها مجهولون، فنصوص العهد القديم والعهد الجديد الأصلية ضاعت، وهي مختلفة اختلافا بينا مع النص القرآني المعلوم السند والمدون لحظة نزوله، وهذا ما يجعلنا نتساءل عن الأسباب التي جعلت

الحداثيين يستعينون بهذه النظريات والآليات لتَفْعِيلِهَا مع النص القرآني، وهل إعْمَالِهم لهذه المناهج يدخل ضمن التحديث أو التقليد؟ وفيما يلي ذكر لأهم المناهج التي استعملها الخطاب الحداثي.

أول المناهج التي وظفها الفكر الحداثي في قراءة النص القرآني المنهج الألسني، الذي نشأ كعلم في الغرب وانتشر استعماله في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ومن روّاده نصر حامد أبو زيد ومحمد شحرور ومحمد أركون، ولعل الأخير أشهر المفكرين الحداثيين الذين طبّقوا هذا المنهج، وقد وُصف أنه: "أحد أبرز مفككي النص القرآني والعقل اللاهوتي الذي جسّده أو انبنى عليه، إنه يوظِّف ترسانة معرفية ومنهجية هائلة ضد تراث طويل من التفسير يقوم على التعامل مع القرآن بوعي ديني يتجاوز التاريخ ويعلو عليه...ذلك أن هاجس أركون هو تفكيك النص القرآني لتعرية آلياته في الحجب والتحوير والتحويل... هاجسه هو خرق الممنوعات وانتهاك المحرمات التي سادت فيما مضى وتسود اليوم" [1]، وهذا ما يترجم نظرياته الغريبة على الواقع الإسلامي.

ويمكن أن نرى نموذج هذه القراءة لأركون في كتابه الفكر الإسلامي نقد واجتهاد حين قرأ قول الله تعالى في سورة القيامة: ﴿ **لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (19)** ﴾، فقال: توجد الكثير من الآيات في القرآن التي تلح على ضرورة أن يتقيد النبي عند لفظ الآيات بالتلاوة نفسها التي سمعها –وللقارئ أن يتصور معنى كلامه- ثم يذهب إلى التحليل اللساني لكلمة القرآن حيث ينقل قول المستشرقين المتخصصين بفقه اللغة: إن كلمة القرآن ذات أصل سرياني أو عبري ويقول أيضا القرآن هو التلاوة المطابقة للخطاب المسموع لا المقروء ،وهذا ما جعله يستعمل في كتاباته الخطاب القرآني[2] .

ونجد أن أركون يتناقض مع نفسه أو يتناقض مع ما يقرره في كتاب آخر، عند معرض حديثه عن ما يقدمه المتخصصون في المصطلح اللساني، من تقرير الوضعية العامة للكلام أو الظرف العام للخطاب، بمعنى مراعاة مجمل الظروف والملابسات التي حدث فيها الكلام سواء كان مكتوبا أو شفهيا، ويعني هذا المصطلح أن كل خطاب أو كلام يقال داخل ظرف معين ،فالحاضرون زمن إلقاء الخطاب يفهمونه بشكل أفضل من الغائبين الذين يطلعون عليه قراءة[3]، وهذا ما يجعلنا نرجع إلى الحاضرين زمن نزول القرآن لنعرف المعنى الصحيح للآية وننقل حديثا متفقا عليه والمتفق عليه أعلى درجات الصحّة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال في تفسيره للآية ﴿ **لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ** ﴾ :" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذَا نَزَلَ جِبْرِيلُ بالوَحْيِ، وكانَ ممَّا يُحَرِّكُ به لِسَانَهُ وشَفَتَيْهِ، فَيَشْتَدُّ عليه، وكانَ يُعْرَفُ منه، فأنْزَلَ اللَّهُ الآيَةَ الَّتي في ﴿ **لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾ [4] ﴿ **لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ**﴾ قالَ: عَلَيْنَا أنْ نَجْمعهُ في صَدْرِكَ، ﴿ **وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ** ﴾ : فَإِذَا أنْزَلْنَاهُ فَاسْتَمِعْ ﴿ **ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (19)** ﴾ : عَلَيْنَا أنْ نُبَيِّنَهُ بلِسَانِكَ، قالَ: فَكانَ إذَا أتَاهُ جِبْرِيلُ أطْرَقَ، فَإِذَا ذَهَبَ قَرَأَهُ كما وعَدَهُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ "[5]، وعلى قاعدة أركون في الظرف العام للخطاب، فكيف نَعْدِل عن تفسير وفهم ابن عباس رضي الله عنهما إلى قراءة أركون التي تحمل معها التشكيك في كلام الله.

ثاني المناهج التي اعتمدها الخطاب الحداثي المعاصر: المنهج التاريخي أو الذي يسمّيه البعض بالتاريخانية، وهذا مذهب يقرر أن كل حالة اجتماعية مرتبطةٌ بالتاريخ، وأن القواعد الاجتماعية هي نتاج للعقل الجمعي، ويدخل في هذا: الشرائع الإلهية، وأول مفكر أظهر مفهوم التاريخية هو فيكو (Vico) حين أكّد على أن البشر هم الذين يصنعون التاريخ وليست القوى الغيبية، فالتاريخ عنده كله بشري من أوله إلى أخره، وهذه التاريخية التي قال بها فلاسفة الغرب ودعا إليها

العلمانيون لتطبيقها على القرآن وأحكامه، كانت تهدف إلى ربط القرآن بفترة زمنية وبظروف اجتماعية مندثرة، فلا يمكنها أن تتعدّى تلك الظروف[6]، ويرى المفكر محمد عمارة أن جوهر هذه النزعة الفكرية هو إقامة قطيعة معرفية كبرى مع الموروث الديني، سواء سميت بالتاريخية أو الحداثة أو العلمنة أو الليبرالية، فالأهداف واحدة وهي إحداث قطيعة معرفية مع كل ما له صلة بالدين من حيث الثوابت والأصول، ومحاولةً لقطع اتصال السماء بالأرض وجعل كل من العقل والتجربة والواقع المرجعية الوحيدة للإنسانية دون الدين، بل يريدون إحالة الدين على التقاعد[7].

ومن رؤوس الحداثيين الذي طبقوا هذا المنهج في قراءة النص القرآني حسن حنفي، الذي أراد أن يحدث قطيعة مع العقيدة الإسلامية أي مع جوهر الدين وأصوله وثوابته، وقوله بتاريخية القرآن هو نفس قول المعتزلة في خلق القرآن حين قال: إن موضوع خلق القرآن كان أول موضوعات الجدل والنزاع، وهو الأولى بالإحياء في فكرنا المعاصر بمدلول حديثٍ – يقصد التاريخانية – في اعتبار الوحي تعبيرا عن الواقع – المكان – ومن ثَمَّ فهو حادث –الزمن- أكثر منه تنزيلا... وبالتّالي فهو يتغير في فهمه وتفسيره طبقا لمتطلبات الواقع[8]، وهذا من المغالطات، لأن القرآن احتوى عقائد وعبادات وشرائع تعتبر أعمدة هذا الدّين، فكيف يطرأ عليها التغيير والتّبديل؟ والتاريخية ينتج عنها القول بخلق القرآن أو القول بأن القرآن نص تاريخي يفقد فاعليته بتغير الزمن والتاريخ.

لم يتوقف حسن حنفي عند استعمال المنهج التاريخي بل انتقل إلى مناهج أخرى مثل القراءة الهرمينوطيقية للنصوص، ومصطلح الهرمينوطيقيا (Hermeneutics) يرجع إلى الأصول اليونانية من الفعل (hermeneuin) الذي يترجم عادة بالفعل يفسر، والتفسير عنصر من العناصر الأساسية لتكوين الهرمينوطيقا، وإذا ذكر التفسير ذكرت معه كلمة التأويل المرادفة للهرمينوطيقا، وتدرس هذه النظرية الفهم على مجالين، الأول: السؤال عمّا يعنيه فهم نص ما، والثاني: السؤال عن معنى الفهم ذاته من الناحية الوجودية[9]، ويظهر تأثير نظرية التفسير (الهرمينوطيقا) كما اصطلح عليها حنفي عندما يقول "لا يوجد نص إلا ويمكن تأويله من إيجاد الواقع الخاص به، ولا يعني التأويل هنا بالضرورة إخراج النص عن معنى حقيقي إلى معنى مجازي لقرينة، بل هو وضع مضمون معاصر للنص، لأن النص قالب دون مضمون...حتى النصوص الجلية الواضحة...تحتاج إلى مضمون معاصر يكون أساس الحدس[10]، بمعنى أن كل النصوص عند حنفي يجب تأويلها تأويلا واقعيا معاصرا، وهذا ما جعله يأتي بتأويل غريب غير مستصاغ عند أصحاب العقول، حيث يتكلم عن قصور اللغة التقليدية وخاصة اللغة الإلهية التي تدور الألفاظ فيها حول (الله) والتي تأخذ دلالات متعددة حسب كل علم، فهو الشارع في أصول الفقه، وهو الحكيم في علم أصول الدين، وهو الموجود الأول في الفلسفة وهو الواحد في التصوف، حتى حدا به الأمر أن يقول: "إن لفظ الله يحتوي على تناقض داخلي في استعماله باعتباره مادة لغوية لتحديد المعاني والتصورات...فالله لفظة نعبر بها عن صرخات الألم وصيحات الفرح، أي أنه تعبير أدبي أكثر منه وصفا لواقع، وتعبير إنشائي أكثر منه وصفا خبريا "[11]، فهذا جانب من القراءة الهرمينوطيقية عند حنفي، وهنا لا بد أن نشير إلى مسألة هامة متعلقة بنشوء المناهج الغربية، والتي صُنِعت وتحدَّدَت معالمها وفق التراث الغربي، فالركائز الأولى في بناء هذه المناهج هي ما وجده الغربيون في كتبهم المقدسة التي تمت كتابتها على فترات زمنية تجاوزت القرن والقرنين وأكثر، هذا من جهة، ومن جهة أخرى الصراع الذي كان قائما بين الكنيسة والعلم، فالكنيسة كانت تحجر على العقول وهي التي تحدد الأطر التي يتم فيها التفكير، والأطر التي لا يجوز لأي إنسان البث فيها ما عدا رجال الدين، هذه بعض الظروف التي صاحبت بناء المناهج، فهل هذه الظروف موجودة في التراث الإسلامي؟ وهل ما يصلح في دراسة أسفار الكتاب المقدس يصلح لدراسة القرآن؟ وهذا ما يجعلنا نقدم دعوة للحداثيين

المقلدين والمستعيرين للمناهج الغربية أن ينشطوا ويبنوا مناهج جديدة تنطلق من الواقع والتّراث الإسلامي وتراعي الحالة الثقافية والاجتماعية للمسلمين؛ فهم ينكرون ويصفون قراءات المسلمين بأنها قراءة كلاسيكية تبجيلية تعتمد على التقليد، فالتقليد أيضا موجود عند الحداثيين فهم مقلدة الغرب، ونتساءل أيضا عن الدافع الذي جعل هؤلاء المفكرين العرب (الحداثيين) يستعملون هذه المناهج؟

3. الاستشراق في ثوب عربي:

إذا رجعنا إلى تراجم الحداثيين نجد أكثرهم تربوا وعاشوا وتعلموا في دول غربية ومن أمثلة الحداثيين الذين عاشوا في الغرب: أركون الجزائري الذي أخذ تعليمه الأول في الجزائر من الآباء البيض ودرس الثانوية في مدرسة مسيحية والتحق بجامعة الجزائر ثم انتقل إلى جامعة السربون في الأول من نوفمبر سنة 1954م، ومحمد شحرور الذي عاش في روسيا مدة زمنية، وبعد رجوعه منها صار يتكلم في القرآن، وحسن حنفي الذي نال شهادة الدكتوراه من السربون، فهل حياتهم في هذه الدول أثرت عليهم وجعلتهم يحاولون إسقاط المناهج الغربية في دراسة النصوص الدينية الإسلامية؟

شكّك أركون في تدوين القرآن الكريم زمن نزوله، وأطلق عليه تسمية المدوّنة الرّسمية المغلقة، ويذكر أنّ الغلق تمّ في القرن الرابع للهجرة أي بعد أكثر من 300 سنة، وهذا ما يفرض علينا التساؤل، هل هذه الفكرة نتاج للبحث الأركوني أم هو تقليد لمفكرين آخرين؟ أو بالضبط تقليد المستشرقين.

والحقيقة أنه ظهر اتجاه جديد من البحوث الاستشراقية في الربع الأخير من القرن العشرين والذين أتوا برؤية مخالفة لرؤى المستشرقين الكلاسكيين الذين أثاروا شبهة أن القرآن من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم، بل أتوا وقالوا بأن القرآن ليس من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم فقط، بل هو عمل مشترك اتخذ شكله الحالي تدريجيا عبر تنقيحات وتعديلات وتطورات تمت في القرون الأولى من الهجرة وعلى رأس هؤلاء كل من ج.وانسبرة (J. Wansbourough) وج.أ. بيلامي (J.A. Bellamy) وأندرو ربين (Andrew Rippin)، وقد روج هذه الفكرة كل من باتريشيا كرون (Patricia Crone) ومايكل كوك (Michael Cook) وكينيث كراج (Kenneth Cragg) وتوبي ليستر (Topy Lester)[12]، وفي ظل هذا الزعم يمكننا أن نقول: إن ما قدمه أركون في التشكيك بالقرآن وتقسيمه واعتماده لمصطلحي النص القرآني والخطاب القرآني لم يكن من بنات أفكاره، وإنما هو اجترار لما جاء به المستشرقون من قبله.

إنّ تسمية أركون للمصحف بالمدونة الرسمية المغلقة لم تأت من فراغ، فقد جاء في شرحه لهذه التسمية: "قلت رسمية لأنها متولدة عن مجموعة من القرارات المتخذة من قبل السيادات المأذونة والمعترف بها من قبل الطائفة، وقلت مغلقة لأنه لم يعد مسموحا لأي كان أن يضيف إليها أي كلمة أو يحذف منها أي كلمة أو يُعَدل في المصحف أيَّ قراءة معترف بأنها صحيحة "[13]، ويعني هذا أن القرآن ثبت حرفيا بعد فترة زمنية وحدد أركون هذه الفترة الزمنية فكتب: لحظة الوحي (610-632م) ولحظة جمع وتثبيت المصحف (632-936م/ ق.2.هـ وحتى 324هـ)[14]، بمعنى غلق المدونة الرسمية كان قريبا من منتصف القرن العاشر للميلاد، وهذا ما نجده عند المستشرق ريجيس بلاشير (Régis Blachère) حين قال: "هكذا صار مقبولا لدينا أن نتكلم عن نص قانوني (رسمي) للمصحف كان قد وضع واعتمد بشكل نهائي (أُغلق) في منتصف القرن العاشر[15]، فهل هذا التشابه بين ما قرره بلاشير وأركون كان صدفة أم تأثرًا؟ ويجيبنا أركون نفسُه عند ذكره للمستشرقين المهتمين بدراسة القرآن والذين تكلموا عن ترتيب السور، فيذكر لنا أنَّ المستعربَ الفرنسيَ ريجيس بلاشير اقترح نظاماً ترتيبيًا زمنيًا لسور القرآن[16]، وللإشارة فقد كان أركون لا يذكر النبي صلّى الله عليه وسلّم إلا مجرّدا من صفة النبوّة ومن أيّ وصف

آخر بحجة عدم التقديس، ولكن تقديس المستشرقين والمسيحيين أمر لا بد منه خاصة أن بعض زملاءه كانوا من المستشرقين، فكان يصف ريجيس بلاشير بأنه مستشرق ومستعرب وفرنسي، وكان يصف رجال الدين المسيحيين بالرتب الكنسية كقوله الكاردينال لافيجري والقديس أوغستين[17]، ولا يجد حرجا في ذلك.

كما كان تَأَثُّرُ حسن حنفي بالمفكرين الغربيين ظاهر العيان حين أبدل مصطلح (الهرمينوطيقا) بـ (نظرية التفسير) هربا من أن يقال تأثر بأستاذه بول ريكور (Paul Ricœur)، كما فعل هذا مع كلمة (الفينومينولوجيا) والتي أطلق عليها كلمة (الشعور) وعند تغييره لعنوان كتابه من (علم الإنسان) إلى (من العقيدة إلى الثورة) كي لا يقال أنه تأثَّر بفيورباخ (Feurbach)، فالقارئ لكلمة نظرية التفسير يفهم أن لها علاقة بالتراث الإسلامي، والحقيقة ألَّا علاقة بينهما[18].

هذه بعض الأعلام التّي تشبّعت بالفكر الاستشراقي فانعكس عليها في فهم النصّ القرآني حتّى صارت أقوالهم ونظرياتهم مُشبّعة بخطاب حداثيّ غربي، هذا الخطاب غير الموضوعي مسّ ثوابت الدّين لأنّه ركّز على النتائج قبل النظر في الأسباب، وبالتالي يمكن اعتباره خطابا استشراقيا جديدا مكسوًّا بثوب عربي، أي عربي القلم أجنبي الفكر.

4. خاتمة:

ختاما يمكن جمع الأفكار التي تضمّنها البحث في النتائج الآتية:

- تعدّدت المناهج المستعملة في نقد النص المقدّس عند علماء الغرب.
- عمل المستشرقون على تطبيق المناهج الغربية في دراسة النص القرآني، وأهم المناهج المستعملة:
  - المنهج التاريخاني: وهو أحد المناهج التي تبنّاها الحداثيون وعلى رأسهم حسن حنفي الذي كان يهدف بمنهجه هذا إلى إحداث قطيعة معرفية مع كلّ ما له صلة بالدّين، واعتبر القرآن مخلوقا لأنّه تعبير عن الواقع، وبالتالي يتغيّر فهمه وتفسيره طبقا لمتطلّبات الواقع.
  - من المناهج التي اعتمدها الخطاب الحداثي في دراسته للنص القرآني المنهج الهرمينوطيقي، فعمِل على إيجاد مضمون معاصر للنص، لأنّه كان يرى أنّ النصّ قالب دون مضمون، وأنّ لغته التقليدية قاصرة عن إيصال المعنى الواجب، وعليه يجب تأويل كل النّصوص تأويلا واقعيا معاصرا.
  - من أشهر الحداثيين في العالم الإسلامي محمد أركون الذي وظّف المنهج الألسني في نقد النص القرآني، فعمل على تفكيك ألفاظه وِفق آليات معيّنة للوصول إلى معانٍ جديدة، واعتبر القرآن الكريم مُجرّد خطاب لا يمكن فهمه إلاّ في إطاره الزمني الأوّل فكان يستعمل في كتاباته لفظ "الخطاب القرآني".
- تأثّر الحداثيون العرب بالمستشرقين في دراستهم للقرآن الكريم ما جعل الحداثيين يظهرون كمستشرقين في ثوب حداثي يجترُّون كلام من سبقهم بأسلوب ولغة عربية.
- تربّى أكثر الحداثيين في دول غربية وتشبّعوا من ثقافتهم الغربية ما جعلهم يُسقِطون مناهجهم على الإسلام رغم الاختلاف الكبير بينهما، ويظهر هذا التأثر جليا أيضا في إطلاق أركون تسمية "المدوّنة الرسمية المغلقة" على القرآن الكريم، وقد سبقه إلى هذا المعنى مجموعة من المستشرقين.
- لم يكن الحداثيون أمناء في نقل أفكار غيرهم، بل تبنّوها لكن بصيغ أخرى حتى لا يُقال أنّهم تأثروا بغيرهم، وهذا ما يظهر مع حسن حنفي الذي أبدل مصطلح (الهرمينوطيقا) بـ (نظرية التفسير) ومصطلح (الفينومولوجيا) بـ (الشعور).

- تبيّن من كلّ ما سبق أنّ الحداثيين مُقلِّدةٌ للغرب في كلّ ما يدعون إليه رغم إنكارهم على المسلمين تقليد سابقيهم.

5.قائمة المراجع:

القرآن الكريم برو اية ورش عن نافع.

[1] **-** علي حرب، 1995، **الممنوع والممتنع (نقد الذات المفكرة)**، المركز الثقافي العربي، بيروت، ص120.

[2] **-** محمد أركون، دت، **الفكر الإسلامي نقد واجتهاد**، مطابع المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص73**.**

[3] **-** محمد أركون، 2005، **من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني**، تر:هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت ص114.

[4] **-**سورة القيامة، الآية 1.

[5] - أخرجه البخاري: (318/3، 4929)، **كتاب تفسير القرآن**، سورة القيامة ،باب ﴿ **فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ**﴾ قال ابن عباس: ﴿ **قَرَأْنَاهُ** ﴾ بيَّنّاه، ﴿ **فَاتَّبِعْ**﴾: اعمل به، تحقيق: محب الدين الخطيب، ط1، (السعودية، المكتبة السلفية ،1400ه) وأخرجه مسلم: (330/1، 448)، **كتاب الصلاة**، باب الاستماع للقراءة ،ط1، (لبنان، دار الكتب العلمية، 1412-1991).

[6] - أحمد محمد الفاضل، 2008، **الإتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن دراسة ونقد**، مركز الناقد الثقافي، دمشق، ص 237-238.

[7] - محمد عمارة، دت، **خطر النزعة التاريخية على ثو ابت الإسلام**، مكتبة وهبه ، القاهرة، ص4.

[8] - حسن حنفي، 1988،**من العقيدة إلى الثورة المقدمات النظرية**، درا التنوير والمركز الثقافي العربي، بيروت، ص152

[9] - فهد بن محمد القرشي، 1434ه، **منهج حسن حنفي وموقفه من أصول الاعتقاد دراسة نقدية**، مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، الرياض، ص415-416

[10] - حسن حنفي، 1988، **مرجع سابق**، ص375.

[11] -(حسن حنفي، 1412-1992، **التراث والتجديد وموقفنا من التراث القديم**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ص113.

[12] -يوسف الكلام ،1433-2011، **القراءات الحداثية للقرآن الكريم ومناهج نقد الكتاب المقدس دراسة تحليلية نقدية**، فهم القرآن والسنة في ضوء علوم العصر ومعارفه، 17-18 محرم 1433ه الموافق لـ 12-13 ديسمبر 2011م، جامعة الأمير عبد القادر، الجزائر.ج1، ص304.

[13] -محمد أركون، دت،**مرجع سابق**، ص77

[14] -محمد أركون، 1996، **الفكر الإسلامي قراءة علمية**، تر: هاشم صالح، مركز الانماء القومي، بيروت، ص254

[15] - بلاشير، 1974، **القرآن، نزوله، تدوينه ترجمته وتأثيره**، تر:رضا سعادة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص34.

[16] - محمد أركون، دت،**مرجع سابق**، ص82.

[17]- Mohamed Arkon, 2012, **La construction humaine de L'islam**, Albin Michel, Paris, pp77-78

[18] - فهد بن محمد القرشي، 1434ه، **مرجع سابق**، ص430.